ثانيا: التّطوّر التّاريخي لمهنة الإرشاد السّياحي

رغم اختلاف المسميات أو الوصف الذي ارتبط بالإرشاد السّياحي إلاّ أنّه يعتبر من أقدم المهن التي بدأت ممارستها منذ حقب زمنية ماضية، وبذلك يعدّ ظهوره في شكله المؤطّر قد جاء في فترة متأخرة بالموازاة مع تطوّر الأمم وتغيّر الظّروف الاقتصادية للشّعوب وزيادة الميول نحو التجوّل والرّحلات.

I. مرحلة الحضارات القديمة

وهي المرحلة التي تشكّلت فيها الامبراطوريات العظمى التي مرّت بالحضارات البابلية، الآشورية، الفارسية والفرعونية وتمتدّ إلى القرن السّادس ميلادي، والتي قامت فيها عدّة رحلات برّية وبحرية، وارتبطت فيها الدّلالة بعملية الإرشاد في المسالك البرّية والبحرية، وكذا تأمين عبورها من أيّ خطر، كما كانت الجيوش وحتى الملوك في رحلاتهم تستعين بالمرشدين لاكتشاف المسالك والطّرق المختلفة وتذليل الصّعوبات التّي قد تعترضهم[1].

وفي مختلف الحضارات كانت هناك حاجة كبيرة للمرشدين سواء للاستعانة بهم من قبل الملوك والأباطرة والجيوش أو حتّى لإرشاد المرتحلين في مختلف التّظاهرات أو للصّيد أو التّجارة، كما شهدت مواقع المعارك والقلاع والحصون والمرافئ التي ارتبطت بحوادث تاريخية توافد الزّوار وبالتّالي تواجد المرشدين السّياحيين للدّلالة عليها.

II. مرحلة العصور الوسطى

تزامنت هذه الفترة مع ظهور الدّين الإسلامي وارتباطه بحركة الحجّ وكذا زيارة المسيحيين إلى بعض الأماكن المقدّسة بالنّسبة لهم، وبالتّالي توافد القوافل وزيادة عدد الزائرين وهو ما يفرض الحاجة المتزايدة لوجود مرشدين للقيام بالتّوجيه والإرشاد والحماية، كما أسهمت فترة الفتوحات الإسلامية في ظهور الأدلاّء ذوي الكفاءة والدّراية بالأمصار والمسالك والطّرق الصّحيحة لتجنّب جيوش الأعداء والمسالك الوعرة والصّعبة، وزادت الحاجة مع توسّع وانتشار الدّين الإسلامي إلى الاستعانة بمرشدين عارفين باللّغات الأصلية للبلدان[2].

زيادة على ذلك ولّدت الحركية الكبيرة في مجال التّجارة وانتشار وازدهار المبادلات التّجارية برّا وبحرا الحاجة إلى وجود مرشدين للكشف عن أفضل وأيسر الطّرق البرية والعارفين بمسارات السّفن وطرق البحر، ومع زيادة المعرفة بالمسالك والطرق فإن مهمّة الإرشاد قد أخذت شكلا آخر[3] من خلال تنظيم الرّحلات لاكتشاف مناطق

---

[1]: زياد عيد الرواضية، المرجع السابق، ص 33-35.

[2]: محمد فاخر المحمداوي، المرجع السابق، ص.ص160،161

[3]: مروان أبو رحمة وآخرون، مبادئ الإرشاد السّياحي، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، الأردن 2014، ص68.

مختلفة من العالم وهو ما أسهم في انتشار مسمّيات متعدّدة للمرشد السّياحي كالكشّاف، المستطلع، المستكشف، المتتبّع، الدّليل ...، وذلك تبعا لتطوّر هذه المهنة عبر المحطّات التّاريخية المختلفة.

III. مرحلة عصر النّهضة

تزامنت فترة عصر النّهضة مع خروج أوروبا من الانغلاق الفكري وانفتاحها على المجال الاقتصادي والصّناعي وتحسّن المستوى المعيشي لدى شعوبها فظهرت نزعة النّبلاء الارستقراطيين للتّرحال والاستكشاف لغايات التّعلّم والاستجمام وهو ما يعرف **بالرّحلات الكبرى** التّي كان ينظّمها المثّقفون والأغنياء من الشّباب من إنجلترا شمالا إلى إيطاليا جنوبا والمستشرقين في رحلاتهم للبلدان العربية[1] ، وكانت تلك الرّحلات تعود بمكاسب جمّة من صنوف المعارف والفنون والآداب والفلسفة واللّغات وهو ما أدّى إلى تطوير معارف وأفكار الرّحالة حول الثّقافات الأخرى.

وهنا أخذ مفهوم المرشد السّياحي في التطوّر أكثر نتيجة الحاجة إلى المرشدين في تلك الرّحلات وأصبحت الصّفات والكفاءات المطلوب توافرها في المرشد أكثر تخصّصا حتى يتمكّن من التّعريف والدّلالة والتّدوين، كما ظهرت عدّة مسمّيات للمرشد وتنوّعت أدواره (المرشد الرّفيق، المعلّم الخاصّ، المرافق المدوّن،...)، ثمّ ظهرت الرّحلات المنظّمة أي أضحت تلك الرّحلات مرتبطة بتنظيمها من طرف جهة معيّنة في كلّ مراحلها وبالتّالي بدأت مهنة المرشد السّياحي تأخذ شكلا منظّما أكثر إذ أصبح يضطلع بمهام أخرى إلى جانب قيامه بالدّلالة والإرشاد وهي القيام بتنظيم خدمات الإطعام والنّقل والإقامة[2]، لتصبح هذه الخدمات ضمن المهام المنوط بالمرشد القيام بها وأضحت عنصرا أساسيا من خدمات الارشاد السّياحي في البرامج السّياحية.

IV. مرحلة العصر الحديث

تتميّز هذه المرحلة بالنّموّ السّياحي تبعا لنموّ وتطوّر الجانب الاقتصادي الذّي يعدّ دافعا لازدهار الصّناعة السّياحية نظرا لارتفاع الدّخل الفردي وزيادة فترات العطل التي أقرتها قوانين وتنظيمات العمل في عديد الدّول، بالإضافة إلى توفّر خطوط النّقل الجوّي والبرّي والبحري [3]وبالتّالي التّشجيع على التّجوال والتّنقّل، كما ساعد تطوّر خطوط النّقل الجوّي وإسهام الطّيران في اختصار المسافات بين القارات المتباعدة وما يصاحبه من خفض للتّكاليف بشكل نسبيّ واختصار الزّمن اللاّزم للتّنقّل في رواج السّياحة.

---

[1]: زياد عيد الرّواضية، المرجع السابق، ص40

[2]: مروان أبو رحمة وآخرون، المرجع السابق، ص68

[3]: زياد عيد الرّواضية، المرجع السّابق، ص45.

كلّ ذلك أدّى إلى اعتماد برامج سياحية متنوّعة وتوسّع المؤسّسات السّياحية وهو ما زاد الحاجة إلى الاستعانة بالمرشدين السّياحيين والمتطلّبات والشّروط التّي يجب أن تتوفّر فيهم، فظهرت الدّورات التّدريبية والأكاديميات والجامعات التّي تدرّس مساقات تتعلّق بالإرشاد السّياحي واهتمّت الدّول بوضع التّشريعات والتّنظيمات التي تضبط ذلك، وتعدّدت أشكال السّياحة (كسياحة المغامرات، السّياحة البيئية، تسلّق الجبال، الغوص، سياحة الأرياف، السّياحة الشّبابية، ...إلخ)[1] والتي تتطلّب مرشدين ذوي مهارات عالية وكفاءات تتوافق مع ممارسة هذا النّوع من الإرشاد، بالإضافة إلى التّوجّه نحو الإرشاد الإلكتروني باستخدام وسائل تتوافق مع التّطوّر التّكنولوجي وانتشار وسائل الاتّصال الحديثة، وما يوفّره من سرعة وسهولة ودقّة في توفير المعلومات دون أي عناء أو مشقّة، كما تزايدت وسائل النّقل أصبحت أكثر أمانا وتصل إلى أقصى بقاع العالم وهو ما ساهم في انتشار السّفر الجماعي بكثرة ولأغراض متعدّدة.

[1]: زياد عيد الرواضية، المرجع السابق، ص46